٢٠ — عُمَر بن عبد العزيز يحمل الناس على الحق*

لما دُفِنَ سليمان ، وقام عمر بن عبد العزيز قُرِّبَتْ إليه المراكب ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا : مراكب لم تُرْكَب قطّ يركبُها الخليفة أولَ ما يلي . فتركها وخرج يلتمسُ بَغْلَتَه ، وقال : يامُزاحِم ؛ ضُمّ هذه إلى بيتِ مالِ المسلمين .

ونُصِبت له سُرادقات وحُجَر لم يجلس فيها أحدٌ قط ، كانت تُضرب للخليفة أولَ ما يلي ، فقال : ما هـذه ؟ فقالوا : سُرادقات وحُجَر لم يجلس فيها أحـد قط ، يجلس فيها الخليفةُ أولَ ما يَلِي . قال : يامُزاحم ، ضُمّ هذه إلى أموال المسلمين . ثم ركب بغلته ، وانصرف إلى الفُرُش والوطَاء[1] الذي لم يجلس عليه أحد قط والذي يفرش الخليفة أول ما يكون ، فجعل يَدْفَعُ ذلك برجله حتى يُفْضِيَ إلى الحصير . ثم قال : يامزاحم ، ضُمّ هذا لِأَمْوَال المسلمين .

وبات عِيالُ سليمان يُفْرِغُون الأدهان والطيب ، من هـذه القارورة إلى تلك القارورة ، ويلبسون ما لم يُلْبَس من الثياب حتى تتـكسّر ـ وكان الخليفة إذا مات فما لبس من الثياب ، أو مسّ من الطيب كان لولده ، وما لم يُلْبَس من الثياب ومالم يُمَس من الطيب فهو للخليفة بعده .

فلما أصبح عمر قال له أهلُ سليمان : هذا لك وهذا لنا . قال : وما هذا ؟ وما هذا ؟ قالوا : هذا مما لبس الخليفة من الثياب ومسّ من الطِّيب وهو لولده ، وما لم يمس ولم يلبس فهو للخليفة بعده ، وهو لك .

(*) سيرة عمر بن عبد العزيز : ٣٥ .

(١) الوطاء : ضد الغطاء .

قال عمر : ما هذا لى ، ولا لسليمان ، ولا لكم ، ولكن يا مزاحمُ ؛ ضمّ هذا كله إلى بيت مال المسلمين .

فتآمر الوزراء فيما بينهم،فقالوا : أماالمراكبُ والسرادقات والحُجَر والشُّوَار[1] والوِطَاء فليس فيه رَجَاء بعد أن كان منه فيه ماقد علمتُم ، وبقيت خَصلة وهى الجوارى ، نعرِضهن فعسى أن يكون ما تريدون فيهن؛فإن كان وإلا فلا طمع لكم عنده . فأُتِىَ بالجوارى فعُرِضْن عليه كأمثال الدُّمَى ؛ فلما نظر إليهنّ جعل يسألهنّ واحدةً واحدةً : مَنْ أنتِ ؟ ولمن كنت؟ومن بعثَ بك ؟ فتخبره الجاريةُ بأصلها، ولمن كانت ، وكيف أُخذت ، فيأمر بردِّهن إلى أهلهن ويُحَمَّلن إلى بلادهنّ ، حتى فرغ منهن . فلما رأوا ذلك أيسوا منه ، وعلموا أنه سيحملُ الناسَ على الحق .

واحتجب عَنِ الناس ثلاثا ، لا يدخلُ عليه أحد ، ووجوهُ بنى مَرْوان وبنى أمية ، وأشرافُ الجنود والعرب ، والقوادُ ببابه ينظرون ما يخرجُ عليهم به . فجلس للناس بعد ثلاث ، وحملهم على شريعةٍ من الحق فعرفوها ؛ فردَّ المظالم ، وأحيا الكتاب والسُّنَّة ، وسار بالعدل ، ورفض الدنيا ، وزهد فيها ، وتجرد لإحياء أمر الله عز وجل ، فلم يزل على ذلك حتى قُبض[2] .

---

(١) الشوار : اللباس والزينة ومتاع البيت . (٢) قبض ، أى مات .